مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

الحجاج وآليات الإقناع في الحديث النبوي الشريف

The argumentaion and the mechanisms of persuasion in the holly Hadith

د .بلخير ارفيس
refibel2@yahoo.fr
جامعة المسيلة

تاريخ الإرسال: 11-02-2018 **تاريخ القبول: 18-03-2020**

الملخـــص:

يسعى هذ المقال إلى محاولة دراسة الحديث النبوي الشريف وفق آخر ما توصل إليه الدرس اللغوي الحديث، فالحجاج كآلية تداولية يسعى إلى إقناع الآخر وفق ملفوظات وروابط منطقية تجعلهم يذعنون لمحتوى القضية، بل وينساقون نحو إنجاز ما تمليهم عليه رغبة المتكلم.

إن أساس المحاججة كآلية تداولية هو الإقناع وليس الإكراه، وهذا الأمر هو ما اعتمده النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالته، وهو ما نحاول إثباته من خلال إسقاط تلك المفاهيم على نماذج من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الإقناع، الحديث الشريف، الدرس اللغوي

ABSTRACT:

This article aims to study the Prophet's Hadith according to the latest lesson of linguistics. the argumentation as pragmatic mechanism seeks to convince the other by enunciations and logical links that make them submit to the content of the case,

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

and even move towards the fulfillment of what dictates the speaker's desire.

The basis of argumentation as a pragmatic mechanism is persuasion rather than compulsion. This is what the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) used to convey his message, which is what we are trying to prove by using those concepts on examples of the Hadiths of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him.)

Keywords: argumentation, persuasion, hadith, linguistics

المقدمـــة:

إن محاولة دراسة الحديث النبوي الشريف وفق آليات الدرس اللغوي الحديث ليست من باب الترف الفكري أو الانبهار المعرفي بمنجزات تيارات الحداثة وما بعد الحداثة، وإنما كل ما في الأمر هو محاولة إسقاط تلك الرؤى والمقاربات المنهجية على الحديث النبوي الشريف لتتضح الرؤية حول الخصوصية التي يحملها في طريقه تأدية غايته العظمى التي أوكلت له، خاصة إذا علمنا اعتماده على الحجاج والإقناع كمنهج رباني مستجيبا في ذلك لقوله تعالى "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[1]

ويسعى هذا المقال جاهدا للإجابة على الإشكالية الآتية: إلى أي مدى اعتمد الحديث النبوي الشريف طرق الحجاج بمفهوم الدرس اللغوي الحديث لإقناع المتلقين الأوائل؟ وكيف يمكن الكشف عن الخصوصيات التي يحملها؟

[1]– سورة النحل 125

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

وللإجابة على هذه الإشكالية كان لزاما على هذا المقال أن يتمفصل على ثلاثة أشياء، يشكل كل جزء منها ركنا في صهر المفاهيم وتحديد الدلالات، وهذه الأركان الثلاثة هي: الحجاج، الإقناع، والحديث النبوي، كما أن المصاهرة المفاهيمية لهذه الأركان يتطلب عملا إجرائيا يحدد الواحد، ويبين الطبيعية التفاعلية بين هذه العناصر.

وتحقيقا لهذه الغاية، فإن محاور هذه الدراسة ستكون كالآتي:

المبحث الأول: ضبط المفاهيم: الحجاج، الإقناع، الفروقات الفاصلة والفواصل الفارقة.

المبحث الثاني: الإقناعية في الحديث النبوي الشريف من الغائية إلى الإجرائية .

المبحث الأول: ضبط المفاهيم: الحجاج، الإقناع، الفروقات الفاصلة والفواصل الفارقة.

لا يمكن لأي دراسة أن تكون جادة، إلا إذا فككت ألغام المصطلحات المستعملة، وهو ما سيقوم به المبحث.

أ–الحجاج:

1– عند العرب:

لغة: الحجاج والمحاجة مصدران لفعل حاجج، جاء في لسان العرب: حجج: الحج: القصد. وحجّه يحجه حجا: قصده. والحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دفع به الخصم[1]. ويقال حاجه محاجة وحجاجا أي نازعته. وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته[2].

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج.. دار المعارف، القاهرة، د ت. ج 2/ 778

[2]– أبو البقاء الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998.1419ص، 406.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

وقد ورد لفظ "الحجة" في القرآن الكريم، في أكثر من موضع ومن ذلك قوله تعالى: وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ "[1] وقوله تعالى" اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ، وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ "[2]

كما ورد لفظ الحجة أو ما شتق منه في الحديث النبوي الشريف، ومثاله قوله صلى الله عليه وسلم: "اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا "[3]

وعادة ما يقترن مفهوم الحجة بالبرهان سواء أكان ذلك في القرآن الكريم أم في الأحاديث النبوية. ففي القرآن الكريم نجد قوله تعالى: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ" [4]وقوله أيضا: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا"[5] وقوله: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "[6]

---

[1]– سورة البقرة 150

[2]– سورة الشورى 16.15

[3]– أخرجه مسلم (804)، وأحمد (22267)، والطبراني (138/8) (7542)، والبغوي في ((شرح السنة)) (1193) واللفظ له.

[4]– سورة المؤمنون117

[5]– سورة النساء174

[6]– سورة البقرة111

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

وأما في الحديث النبوي الشريف فنجد ما روي عن أبي مالك الحارث بن الأشعري رضي الله عنه حين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ "[1]فقوله صلى الله عليه وسلم: [الصدقة برهان]: "معناه أنه يفزع إليها كما يفزع للبراهين، كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت له صدقاته براهين في جواب هذا السؤال فيقول: تصدقت به وقيل: معناه أن الصدقة حجة على إيمان فاعلها لأن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها فمن تصدق استدل بصدقته على قوة إيمانه "[2].

ومن هنا نجد أن المراد من الحجاج في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف هو الحوار الذي يهدف إلى الإبلاغ والإقناع باستخدام الأدلة بمختلف أنواعها وفروعها سواء أكانت عقلية أم علمية أم لغوية وغيرها، أو باستخدام الآيات الكونية في الآفاق والأنفس إثباتا لحقيقة هذا الدين .

أما في التراث العربي فلم نستطع إلى حد الآن إيجاد تعريف للحجاج يتوافق مع ما أحدثته التداولية الحديثة، وإنما كل ما تم العثور عليه مجموعة من الآليات التطبيقية استعملها الخطباء في إقناع متلقيهم، وقام الجاحظ بالتنظير لها خاصة في كتابه البيان والتبيين .ومن ذلك ما ذكره في فصل في الجوابات يقول فيه: ثم إني واصل قولي في المعرفة ومجيب خصمي في معنى الاستطاعة وفي أي أوجهها يحسن التكليف وتثبت الحجة؛ ومع أيها يسمح التكليف وتسقط الحجة.

[1]– رواه مسلم333

[2]– شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ، ج3 ص101

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

فأول ما أقول في ذلك: أن الله – جل ذكره – لا يكلف أحداً فعل شيء ولا تركه إلا وهو مقطوع العذر، زائل الحجة. [1]

2– في الدرس اللغوي الحديث

لغة: يشير لفظ "Argue" في الإنجليزية إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كلّ منهما إقناع الآخر بوجهة نظره، بتقديم الأسباب أو العلل "Reasons" التي تكون الحجة "Argument"، مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما[2]

أما في اللغة الفرنسية فتشير كلمة "Argumentation إلى: القيام باستعمال حجة أ، مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.[3]

اصطلاحا:

لقد وردت العديد من التعريفات التي حاولت جاهدة توضيح ماهيته، وتحديد آلياته، واستخلاص وظائفه .ولا تختلف تلك التعريفات إلا في درجة النظر للموضوع قيد الدراسة. ومن أبسط تلك التعاريف مثلا:

"الحجاج إجراء يستهدف من خلاله شخص ما حمل مخاطبه على تبني موقف معين، عبر اللجوء إلى حجج، تستهدف إبراز صحة هذا الموقف، أو صحة أسسه. فهو

[1]– الرسائل، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة (1964، 384) ص1126

[2]– Longman, Dictionary of contemporary English, longman 1989 p: 126.

[3]–Petit Robert, Dictionnaire de la langue Français,1er redaction, Paris,1990, p: 99.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

إذن عملية هدفها إقناع الآخر، والتأثير عليه، ووسيلتها الحجج"[1]."ولا يكون الحجاج جيدا إلا إذا نجح في تحقيق هدفه هذا"[2]

ولهذا نجد أن كريستيان بلانتان Cristianne Plantene يعتبر المحاججة ممارسة فكرية إذ "للمحاججة وجه معرفي، أن تحاجج يعني أن تمارس فكرا صائبا، و بواسطة الإجراء التحليلي والإتلافي نبني مادة ثم نطرح قضية للنقد، إننا نفكر و نفسر و نبرهن بواسطة الحجج و العلل و الدلائل. كما نقدم الدوافع. و بهذا تكون خلاصة المحاججة اكتشافا، حيث تنتج إبداعا أو لا شيء أقل من المعرفة."[3].

وأما طه عبد الرحمان فيعتبر الخطاب الحجاجي "كل منطوق به، موجه إلى الغير، لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها.[4] ".

ولهذا فإن أساس الخطاب الحجاجي هو الإقناع عبر تقنيات معلومة، سواء كانت لغوية أو غير لغوية تستهدف متلقيا معروفا أو متوقعا.

ب–الإقناع

لغـــة: لا تتفق المعاجم العربية والغربية على مفهوم موحد للإقناع، وهو ما يضطرنا لتفصيل ذلك .

فالمعاجم العربية تتفق على أن للإقناع معنيين:

[1]– أبو الزهراء، دروس الحجاج الفلسفي، مكتبة الخانجي، القاهرة 2003 ص5.

[2]– ليونيل بلنجر، عدة الأدوات الإجرائية تر: قوتال فضيلة.د م ن، ص121.

[3]–كريستيان بلانتان: لغة المحاججة و اللغة الواصفة، ترجمة نصيرة الغماري، د م ن، ص 02.

[4]– طه عبد الرحمان: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص 226.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

الأول: السؤال والتذلل[1] فيقال (قنع) بفتح النون فلان قنوعا، أي سأل الناس الإحسان راضيا بالقليل[2]

والثاني: الرضا فيقال (قنع) بكسر النون قنعا وقناعة رضي بما أعطي[3] وقنع بنفسه قنعا. وقناعة: رضي، وأقنعني أي أرضاني، وقنعني أي رضاني[4]

فالدلالة المعنوية لكلمة إقناع عند أهل اللغة عموما هي رضا النفس[5]

وأما في المعاجم الغربية فإننا نجد المفردات الآتية Persuader وكلمة convaincre حيث تعنيان أقنع وأفحم.

وقد أورد كل من جيمس سبيكمان وكيفن هوقان العديد من الدلالات للفعل persuade فيوردان ما يلي: [6]

– أقنع يعني دعوة شخص معين لفعل شيء ما باستعمال وسائل الحجاج، والبراهين أو التوسلات

– استمالة شخص ما

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة قنع 256/4.

[2]– المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، طبعة 1993 ص231.

[3]– ن م، ن ص

[4]– ابن منظور، لسان العرب257/4

[5]– انظر، الطاهر بن عيسى، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، دار الضياء، للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، 1427 هـ 2006/م، ص20

[6]– KEVIN HOGAN, JAMES SPEAKMAN: COVERT PERSUASION; Psychological Tactics and Tricks to Win the Game. Published by John Wiley & Sons, Inc., Hoboken, New Jersey. 2006. P3.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

– جعل شخص ما يعتقد بشيء ما يقتنع به

اصطلاحا:

في الثقافة العربية: يعرفه حازم القرطاجني بقوله: "هو حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده"[1]

أما الخوارزمي فيعرفه بقوله: "ومعنى الإقناع أن يعقل نفس السامع الشيء بقول يصدق به، وإن لم يكن ببرهان"[2]

والملاحظ على التعريفين السابقين نزوعهما إلى الفلسفة أكثر من البلاغة، ولا غرو في ذلك؛ فسمات عصرهما التفلسف. أما الإقناع فقد ربطه الجاحظ في خضم حديثه عن بلاغة الكلام، وذلك حين قال: "إذا كان المعنى شريفا، واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع، بعيدا عن الاستكراه، وكان منزها عن الاختلال، مصونا عن التكلف، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة"[3]

ويزداد هذا الأمر وضوحا عند الحاتمي حيث يقول: "فإذا كان اللفظ فصيحا، والمعنى صريحا، واللسان بالبيان مطردا، والصواب مجيدا....والمعاني والحجج عند الحاجة ماثلة...فتلك هي البلاغة"[4]

---

[1]– القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ـــ تح: محمد الحبيب، بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1981 م، ص20.

[2]– الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الثانية، 1409 هـــ 1989/م. ص177

[3]– الجاحظ، البيان والتبيين، تحقبق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7 (1998، 1418). ج1ص383

[4]– الحاتمي، حلية المحاضرة، تح: جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، العراق (1399هـــ، 1979م)ج 1 ص123

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

وأما في الثقافة الغربية فهناك العديد من التعاريف نذكر منها:

يعرفه هنريش بليث بقوله: "قصد المتحدث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي عند المتلقي"[1]

ويعرف أيضا بأنه: "حمل الإنسان على اعتقاد رأي للعمل به"[2]

وفي تعريف آخر يعرف الإقناع بأنه العملية التي بها يؤثر الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه بدون إكراه أو قسر.[3]

وهذا التعريف الأخير يتقارب كثيرا مع المفهوم القرآني، إذ يقول تعالى: وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [4]، ويقول: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ[5]

ومن هنا يتبادر لنا التساؤل حول طبيعة العلاقة بين الحجاج والإقناع خصوصا بعد أن عرف الحجاج بأنه فن الإقناع عند بعضهم.

ومن خلال نظرة بسيطة يمكننا الوقوف عند أهم الفروقات بين المفهومين من خلال الجدول الآتي

الإقناع	الحجاج
فن الإيعاز والمناورة	مسار حواري يستخدم أحكام القيمة
هدفه الإقناع حتى بالوسائل غير العقلية	هدفه الإقناع بوسائل عقلية

[1]– هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب . الطبعة الثانية، 1999 م. ص102

[2]– بن عيسى الطاهر، أساليب الإقناع في القرآن الكريم ص21

[3]– نفسه 21

[4]– سورة النحل 125

[5]– سورة البقرة 256

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

صورة صانع الإقناع لها دور أساسي	برهنة موجهة إلى طرف ما، وهي ليست ملزمة
جمهور خاص، جمهور مستهدف	جمهور خاص لكن يقصد من خلاله جمهور كوني
كل نص إقناعي ليس حجاجيا بالضرورة	كل نص حجاجي إقناعي بالضرورة
كل تواصل يهدف إلى الإقناع	ليس كل تواصل يهدف إلى الحجاج

المبحث الثالث: الإقناعية في الحديث النبوي الشريف من الغائية إلى الإجرائية:

إن طبيعة الخطاب النبوي خطابية جدلية، "وانطلاقا منها، يمارس أيضا حوارا ذاتيا، بقصد تبليغي موضوعي "[1] "فما أكثر الوقائع الجدلية الواردة... وما أكثر الحجج المنطقية أو المعقولة التي تقيمها لنفي ما تنفيه أو إثبات ما تثبته"[2]

لقد حوى الخطاب النبوي من الآليات ما جعله خطابا حجاجيا إقناعيا، وما جعل الحجاج يصيب كثيرا من العناصر اللغوية فيه مثل: الكلمات والتراكيب والصور[3]

إن اعتبار الحديث النبوي الشريف خطابا يستلزم بالضرورة الإقناع، والذي يدل على ذلك كثرة المخاطبين حتى غدت معرفتهم وتحديد طبيعتهم علما من علومه

وأصل الخطاب النبوي أمران: الأول قضوي، و هو الدعوة إلى الله. والثاني إجرائي وهو اتباع الحكمة والموعظة الحسنة .

1– الدعوة إلى الله

سعى النبي صلى الله عليه وسلم جاهدا في تبليغ رسالته، وكان الأساس الأول الذي دعا إليه هو نبذ الإشراك بالله والتحول إلى توحيده، فهو إذا أراد تغيير وضع ذهني

[1]– سليمان عشراتي: الخطاب القرآني؛ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة، 1998، ص18

[2]– جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2000، ص128

[3]– عبد لله صولة، الحجاج في القرآن.، دار الفرابي، ط2، 2007 ص 44.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

يترتّب عليه بالضرورة تغيير وضع مادي؛[1]وهو أمر حجاجي بامتياز؛ إذ من تعريفاته أنه " عمل غرضه دائما أن يغير وضعا قائما."[2] والخطاب النبوي لم يحد على هذا المفهوم، فقد أراد تغيير وضع قائم، وذلك بإحلال الدين القويم مقام ما كان يعبد من أوثان، وما ينجر عنه من إحداث تغيير في السلوك .كتجنب الميتة والخمر والزنا وغيرها من السلوكيات الطائشة.

كما أن عملية تغيير الوضع القائم لا يمكن أن تكون إلا بتأكيد الجديد، وهذا ما نصَّت عليه الأحاديث النبوية "إنما هو جبريل آتاكم ليعلمكم دينكم" [3]. كما أن غاية الخطاب الديني هي إصلاح الأمة بأسرها فهو " خاطب الكافر كما يخاطب المؤمن، فإصلاح كفّارها بدعوتهم إلى الإيمان...وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم، وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طرق النجاح وتزكية نفوسهم"[4]

2– الحكمة والموعظة الحسنة

يرى بيرلمان وتيتيكاه أن السعي لتحقيق نتيجة معينة يكون باعتماد إحدى الوسيلتين: العنف أو الخطاب المقنِع، غير أن الحديث النبوي الشريف لم يعتمد إلا الحوار طريقا ومنهجا في سبيل الدعوة إلى الله، وهو ما يتجلى في أحاديث نبوية كثيرة. ومنها "إن فتى شابًّا أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال: ((ادنه))، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: ((أتحبه لأمك؟))، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأمهاتهم))،

[1]– نفسه، ص45.

[2]– ن م، ن ص.

[3]– رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، رقم 34

[4]– محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، ص8.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

قال: ((أفتحبه لابنتك؟))، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لبناتهم))، قال: ((أفتحبه لأختك))، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأخواتهم))، قال: ((أفتحبه لعمتك؟))، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لعمَّاتهم))، قال: ((أفتحبه لخالتك))، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لخالاتهم))، قال: فوضع يده عليه، وقال: ((اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فَرْجَه))، فلم يكن بعد – ذلك الفتى – يلتفت إلى شيء "[1]

ويظهر من هذا الحديث أن الخطاب النبوي يقوم على الحجة والبرهان، حتى يكون هناك اقتناع، فيقلع صاحب الذنب عن نبه، كمن يقلع الشجرة من جذورها.

ب– الإجرائية الإقناعية في الحديث النبوي الشريف:

المقصود بالإجرائية آليات الإقناع التي يمكن تقسيمها نوعين على الأقل:

1–: الآليات اللغوية:

المقصود بها "الوسائل اللغوية وإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلِّم"[2] "اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية"[3]

ومن هذه الآليات ما يلي:[4]

---

[1]– أخرجه الإمام أحمد في مسنده 5/ 256– 257.

[2]– أبو بكر العزّاوي اللغة والحجاج .دار الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1426 هـ، 2006 ، ص56

[3]– نفسه، ص5

[4]– ينظر: محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر . ط1، 1426هـ 2005/م.، ص 230 وما بعدها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

أ– ألفاظ التعليل: ومنها:

المفعول لأجله: ومن أمثلته ما روي عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله يقول: من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سَهَّل اللهُ له طريقاً إلى الجنة وإنّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتِها لطالبِ العلمِ رضاً بما يصنعُ وانّ العالِم ليستغفرُ له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء.وفضلُ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمر على سائر الكواكب وإنّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء وإنّ الأنبياءَ لم يورثوا ديناراً ولا دِرهَماً وإنما وَرثوا العلمَ فمن أخذهُ أخذَ بحظٍ وافر)[1]

فكلمة "رضا" مفعول لأجله، وهي تعليل مباشر وتبرير لبسط الملائكة أجنحتها لطالب العلم، وفي هذا حث على العلم ودعوة إليه لما فيه من جزيل الثواب، وعظيم الأجر

ب–الوصف: فاختلاف الوصف يؤثر في قوَّة الحجة أو ضعفها في أي خطاب كان، ومن أدوات الوصف نذكر: الصفة، اسم الفاعل، واسم المفعول:

– **الصفة:** "فالصفة: الاسم الدال على بعض أحوال الذات، وذلك نحو: طويل وقصير وعاقل وقائم ...، والذى تساق له الصفة هو التفرقة بين المشتركين في الاسم، ويقال: إنها للتخصيص في النكرات، وللتوضيح في المعارف. والصفة والنعت واحد، وقد ذهب بعضهم إلى أن النعت يكون بالحلية نحو: طويل وقصير، والصفة تكون بالأفعال نحو ضارب وخارج . فعلى هذا يقال للبارئ سبحانه موصوف، ولا يقال له منعوت. والصفة لفظ يتبع الموصوف في إعرابه تحلية وتخصيصاً له بذكر معنى في الموصوف أو في شيء من سببه، وذلك المعنى عرض للذات لازم له...، ولا تكون الصفة إلا مأخوذة من

[1]– فتح الباري شرح البخاري ج2 ص146أخرجه أبو داود 3641 والترمذي 2682 وابن ماجة 223 ورياض الصالحين 1388

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

فعل أو راجعاً إلى معنى الفعل، وذلك كاسم الفاعل نحو: ضارب وآكل وشارب ومحسن، واسم المفعول نحو: مضروب ومأكول ومشروب، أو صفة مشبهة باسم الفاعل نحو: حسن وشديد وبطل ..."[1]

ومن أمثلة ذلك في الحديث النبوي الشريف ماروي عَنْ جَابِرٍ حيث قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ[2]" . فالصفات المذكورة في الحديث فيها من التوضيح والتفصيل ما يجعل قارئ الحديث يستحي منها، ويحاول تجنبها قدر المستطاع.

– **اسم الفاعل:** "اسم مشتق، يدلُّ على معنى مجرَّد، حادث، وعلى فاعله. فلا بدَّ أن يشتمل على أمرين معا، هما: المعنى المجرّد الحادث، وفاعله[3]

فهو نموذج من نماذج الوصف لا يدرجه المتكلِّم الفاعل في خطابه من أجل الوصف في حد ذاته، وإنَّما من أجل إدراج الحجج القوية التي تسوِّغ له إصدار حكمه من أجل النتيجة التي يريد تحقيقها.

ومثاله في الحديث النبوي الشريف ما روي عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالحُ والجليسُ السوءِ كحامِلِ المسك، ونافخِ الكِيْرِ فحاملُ المسك: إِما أن يُحْذِيَكَ، وإِما أن تبتاع منه، وإِمَّا أن تجِدَ منه ريحا

[1]– ابن يعيش النحوي، شرح المفصل عالم الكتب – بيروت 3/46– 48 ولسان العرب 357/9.
[2]– رواه الترمذي (2018)، وصححه الألباني رحمه الله في "صحيح سنن الترمذي" (385/2).
[3]– ينظر عباس حسن: النحو الوافي .ج3، .ص23

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

طيِّبة، ونافخُ الكير: إما أن يَحرقَ ثِيَابَكَ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثَة"[1] فلفظا: حامل، نافخ هما للوصف الذي يسهم في إقناع المتلقي.

– **اسم المفعول:** يعرَّف اسم المفعول بأنه: "اسم مشتق، يدلُّ على معنى مجرَّد، غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، فلا بد أن يدلَّ على الأمرين معا".[2] ويستعمل وصف اسم المفعول من أجل بناء الحجج.

ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ "[3] فالحمولة الدلالية التي تحملها كلمة "مغبون" وهي اسم مفعول تشير إلى طبيعة وحجم الخسارة التي يتكبدها شخص جراء عدم الاستفادة من صحته أو فراغه

ج–أفعال الكلام (Actes de langage)

مرَّت نظرية أفعال الكلام بأطوار ثلاثة أساسية هي: "تمييز مستويات مختلفة في الفعل اللغوي، وضع شروط محدَّدة للفعل. وضع قواعد خطابية للفعل اللغوي"[4]

وقد ميز أوستن بين عناصر فعلية ثلاثة: الفعل الكلامي[5] (L'acte locutoire))، الفعل التكلُّمي[1] (L'acte Illocutoire)، الفعل التكليمي[2] (L'acte perlocutoire).

[1]– رواه مسلم، باب استحباب مجالسة الصالحين رقم2678

[2]– عباس حسن: النحو الوافي .دار المعارف، مصر ط3، ج3 .ص27

[3]– رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة 5/ 1357 (6049)

[4]– طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي .المركز الثقافي العربي، الدار. البيضاء، بيروت . الطبعة الثانية، 2006 ص260

[5]– وهو فعل التلفُّظ بصيغة ذات صوت محدَّد وتركيب مخصوص ودلالة معيَنة .وقد يترجم إلى فعل النطق.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

ثم جاء سيرل واستخرج شروطا أربعة للفعل الكلامي حتى يوفق في آدائه:

– شروط مضمون القضية: وهي التي تحدد أوصاف المضمون المعبر عنه بقول مخصوص

– الشروط الجوهرية: وتعيِّن هذه الشروط الغرض التواصلي من الفعل التكلمي. هذا الغرض الذي يلزم المتكلم بواجبات معيّنة.

– شروط الصدق: وهي تحدد الحال الاعتقادي الذي ينبغي أن يقوم بالمتكلم المؤدي لهذا الفعل التكلمي.

– الشروط التمهيدية: وتتعلق هذه الشروط بما يعرفه المتكلم من قدرات واعتقادات وإرادات المستمع وعن طبيعة العلاقات القائمة بينها

ثم جاء غرايس فوضع قواعد خطابية للفعل الكلامي انطلاقا من المبدأ العام المسمَّى "مبدأ التعاون" "ومقتضاه إجمالا أن يتعاون المتخاطبون على الوصول إلى الغرض المطلوب من دخولهما في التخاطب[3]

ومما يؤاخذ عليهم إغفالهم الأفعال اللغوية المركبة وهو ما استدركه الباحثان الهولنديان إيميرن (Van Emeren) وغروتندوست (Grootendorst) فقاما بتوسيع هذه النظرية حتى تشمل الأفعال اللغوية المركَّبة، فضلا عن الأفعال اللغوية البسيطة[4]

[1]– وهو الفعل التواصلي الذي تؤدي هذه الصيغة التعبيرية في سياق معين. وقد يترجم إلى فعل الإنجاز.

[2]– وهو أثر الفعل التكلمي في المستمع.

[3]– طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي .ص26

[4]– نفسه. ص26

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

فأدرجا الحجاج في جملة الأفعال اللغوية، الذي يعرَّف عندهما بأنَّه " فعل تكلمي لغوي مركَّب "[1]

والفرق بين الأفعال اللغوية البسيطة والمركبة هي:

– أن أفعال اللغة البسيطة تتكون من منطوق واحد كالجزم والالتماس والوعد والإلغاء والمعارضة والإعلان والنصح والتنبؤ، بينما أفعال اللغة المركبة "الحجاج" فتتكون من عدة منطوقات

– أضف إلى هذا أن الغاية من الأفعال اللغوية البسيطة واحدة وهي تحقيق التواصل على خلاف الأفعال اللغوية المركبة التي لها وظيفتان تواصليتان في الوقت نفسه.

كما يستقل كل فعل لغوي بسيط بنفسه، أما أفعال اللغة المركبة فهي مترابطة لترابط الحجج.

– **الروابط الحجاجية:** هي أدوات لغوية تصل بين ملفوظين أو أكثر تم سوقهما ضمن نفس الاستراتيجية الحجاجية، دورها الربط بين قضيتين حسب قوة أو ضعف الحجج المعروضة في الخطاب، ومنها:

غنِّي عن القول، لكن، بل، فضلا على، حتى، لا سيما، إذن، بما أن، إذ، لأن، إذ، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي

وهناك روابط تصنَّف حسب قوتها الحجاجية، فهناك الروابط المدرِجة للحجج القوية، وهي: حتى، بل، لكن، لا سيما .وأخرى مدرِجة للحجج الضعيفة.

ومن الروابط الحجاجية في الأحاديث النبوية الشريفة:

[1]– ويقصد به أن الحجَّة فعل تكلمي لغوي مؤلف من أفعال تكلمية فرعية وموجهة، إما إلى إثبات أو إلى إبطال دعوى معيَنة. ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص26

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

-**الفـــاء**: ومثالها في الحديث الشريف ما روي عن سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"[1] جاء في شرح مسلم للإمام النووي: باب دليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم حقه، وإن قتل كان في النار، وأن من قتل دون ماله فهو شهيد؛ فيه: أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك. قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله. قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد. قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار.[2]

محل الشاهد في المثال هو الرابط الحجاجي "الفاء" فحسب معيار عدد المتغيرات تربط الفاء بين متغيرين حجاجيين، يكون الأول سببا والآخر نتيجة، وبذلك تحقق الفاء العلة من الأفعال

– **الواو**: يعدُّ "الواو" من أهم الروابط الحجاجية، إذ ليس له دور الجمع بين الحجج فحسب، بل يقوي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرادة؛ إذ يعدّ " الواو" رابطا حجاجيا مدِّعما للحجج المتساوقة أو المتساندة.

ومثاله ماروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِيَّاكُمْ وَالظَّنّ فَإِنَّ الظَّنّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَاد اللَّه إِخْوَانًا" [3]

[1]– رواه أبوداود (4772) والترمذي (1421)

[2]– رواه مسلم، كتاب الإيمان رقم233

[3]– رواه البخاري 6064.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

العوامل الحجاجية: تختلف العوامل الحجاجية عن الروابط الحجاجية؛ في كون الثانية تربط بين المتغيرات الحجاجية أي بين الحجَّة والنتيجة أو بين مجموعة الحجج، أمّا الأولى فتقوم بتقييد الإمكانات الحجاجية للقول وحصرها. ويعرَّف العامل الحجاجي (L'opérateur argumentatif) بأنَّه" أداة لغوية إذا تمَّ إعمالها في ملفوظ معيَن، فإن ذلك يؤدِّ ي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ "

من أهمِّ الأدوات التي تعدُّ عوامل حجاجية: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما ... إلا وأدوات القصر

ومن العوامل الحجاجية في الحديث النبوي الشريف

– أسلوب القصر: يكون القصر بأربعة طرق منها القصر بما وإلا، وإنما، ويوجَّه أسلوب القصر إلى ثلاثة أصناف من المخاطَبين

مخاطَبٌ يعتقد رأيا مخالفا

مخاطَبٌ شاكٌ في الرأي المقدَّم له.

ومخاطَبٌ يعتقد الشركة بين اثنين أو أكثر في الحكم.

ومن أمثلة القصر بإنما: ماروي عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ[1].."

ففي صدر الحديث ابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم قوله: إنما الأعمال بالنيات أي: أنه ما من عمل إلا وله نية، فالإنسان المكلف لا يمكنه أن يعمل عملاً باختياره، ويكون هذا العمل من غير نيّة

[1]– رواه الشيخان

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

وتأتي "إنما" إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه وما يلاحظ على هذا العامل أن الحجج التي تأتي بعده تكون أقوى من الحجج التي تأتي قبله..

2– الآليات البلاغية:

ومن هذه الأدوات التي يتوسَّل بها لتحقيق الإقناع التشبيه والاستعارة والبديع.

– **التشبيه:** يعرفه ابن رشيق فيقول: "التشبيه صفة الشيء بما قاربه أو شاكله، من جهة واحدة، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"[1].

وما يهمنا في دراستنا للتشبيه هو إعادة النظر في هذا النمط للكشف عن فاعليته في الإقناع .حيث يعدّه البعض تقنية إقناعية في كثير من المحاجات2

ومن نماذج من التشبيه في الحديث النبوي الشريف ما روي عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا "[3]

[1]– ابن رشيق، العمدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا ط1981، 5.ج1ص287

[2]– جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال. ص170

[3]– رواه البخاري، كتاب الشركة رقم 2493

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

وتظهر الخصائص الإقناعية للتشبيه في الحديث النبوي الشريف في كونه، من أهم طرق الاستدلال والمحاجَّة في سبيل الوصول إلى الحقائق، في سوق الخبر مقرونا بالحجَّة، ليلقى قبولا واستجابة من المخاطَبين متجنبا في ذلك طريقة السرد المباشر.

ومن وظائف التشبيه النبوي إخراج ما خفي وتقريبه إلى الأفهام، وذلك بإبراز المعقولات الخفية في صورة المحسوسات الجلية ليتمكَّن المخاطَبون من إدراك المقصود من مشبَّه واحد، لانتزاع الصفات المتعددة لوجه الشبه. ومما يقيم الحجَّة على المخاطَبين بالخطاب النبوي أن المشبَّه به معروف ومسلَّم به لديهم، وهذا مما ينير لهم السبيل لتجلية الحقائق والاقتناع بها.

- الاستعارة:

للاستعارة بعدان: جمالي وحجاجي. وهو مايؤكده كل من جورج لايكوف ومارك جونسون؛ إذ الاستعارة لم تعد تمثل بالنسبة لعدد كبير من الناس أمرا مرتبطا بالخيال الشعري والزخرف البلاغي، وإنما أصبحت ذات بعد حجاجي، لها مقوِّمات حجاجية حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية .إنها .ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها

وبالعودة إلى تراثنا العربي نجد أن عبد القاهر الجرجاني "أول من استخدم أدوات حجاجية لوصف الاستعارة[1]"

[1]– حسن المودن: حجاجية المجاز والاستعارة. مقال ضمن مؤلَّف: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي .ج3، ص . 163 و: طه عبد الرحمن: الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج .مجلة المناظرة، العدد4 ، السنة2 ، ماي . 1991 ص70

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

وهي مجاز لغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي أو هي تشبيه سُكِتَ عن أحد طرفيه وهو المشبّه عادة وذُكِرَ فيه الطرف الآخر وأريد به الطرف المحذوف. فالمتكلِّم يستعير لفظ المشبَّه به ليستعمله للدلالة على المشبَّه ثم يرجعه إلى مجاله الأصلي

وهذا ما اعتقده بيرلمان في أبحاثه حول الاستعارة، إذ عدَّها مقوِّما حجاجيا إقناعيا؛ حيث حاول أن يردم الهوة بين الخطاب الحجاجي النفعي والوظيفي والأدب. فالاستعارة متى نجحت في استمالة المخاطَب لم تعتبر زخرفة، وإنما تعدُّ مقوما حجاجا[1]

ويوضِّح بيرلمان تصوره للاستعارة بقوله: "إن أي تصور للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا .إلا أننا نعتقد أن دور الاستعارة سيتضح أكثر بربطه بنظرية التناسب الحجاجي"[2]

وفي سياق الدراسات الحجاجية حول الاستعارة يربط العزاوي بين الاستعارة[3] والسلم الحجاجي، ويعتبر أن الأقوال الاستعارية أعلى وأقوى حجاجيا من الأقوال العادية[4]

[1]– محمد الولي، الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايم بيرلمان، مجلة علامات في النقد العدد25، 1999 ص532

[2]– نفسه ص535 .

[3]– الاستعارة التي يقصدها العزاوي هي التي يسميها الاستعارة الحجاجية، يفرِّقها عن الاستعارة غير الحجاجية ويسميها الاستعارة البديعية، ووجه الاختلاف بينهما كون الأولى "تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلُّها المتكلِّم بقصد توجيه خطابه وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية "، والثانية – أي الاستعارة البديعية– ليس لها ارتباط بالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم كما في الاستعارة الحجاجية، وإنما هي مقصودة لذاتها. ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج .ص10

[4]– نفسه .ص102

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

وتعرَّف الاستعارة الحجاجية بأنها "تلك التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي"[1]

أما الاستعارة في الحديث النبوي فهي استعارة حجاجية؛ لأنها من الأدوات المفضَّلة إليه في التعبير عن معانيه، ودعوة مخاطَبيه إلى الاقتناع والتصديق بما جاء فيه

فالحديث النبوي يعمد إلى هذه الصورة التي رسمها فيعطيها ألوانها وظلالها، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة فالحوار، فإذا هي شاخصة.

ومما يميز الاستعارة النبوية وضوحها، إذ تنقل المستمع والمخاطَب من الحالة المعنوية إلى الحالة الحسية، فتصبح المعاني محسوسة ملموسة.

ومثاله قوله صلى الله عليه وسلم: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَ خَضْرَاءَ الدِّمَنِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَ مَا خَضْرَاءُ الدِّمَنِ؟ قَالَ: "الْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ فِي مَنْبِتِ السَّوْءِ"

والدِّمَن هي آثار الإبل والغنم وأبوالها وأبعارها، فربما نبَت فيها نبات فيكون منظره حسنًا أنيقًا ومَنبَته فاسد. والمراد التحذير من الزواج بذوات المنظر الحسن والجمال الفاتن بغير دين أو خلق، فهذا يُنتج ذرية غير صالحة. ففي هذا الحديث شبه المرأة الحسناء في منبت السوء بالشجرة الخضراء التي تنبت في المزبلة فتجيء خضرة ناعمة ناضرة ولكن منبتها خبيث قذر على سبيل الاستعارة التصريحية وفي هذه الاستعارة التصريحية تحذير للمسلم من أن يغتر بالمظهر وحده، وأن يؤخذ بجمال المرأة من غير أن ينظر إلى خلقها ودينها، إذ لا خير في ظاهر حسن مع باطن خبيث.وهذا مما يجعل المعاني واضحة جلية تدفع الناس إلى الاقتناع بما جاء به هذا الخطاب.

[1]– عمر أوكان: اللغة والخطاب دار رؤية، القاهرة، ط1، 2011 .ص219

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

البديـــع: استقر الأمر منذ مرحلة التقعيد على أن وظيفة البديع هي التحسين، وأن هذا التحسين قد يكون في اللفظ، وقد يكون في المعنى .والأول هو تحسين الألفاظ أو المحسنات اللفظية، والثاني هو تحسين المعنى أو المحسنات المعنوية

ولكن النظرة المعاصرة للبديع اختلفت، فاستعمال المتكلِّم أشكالا لغوية تنتمي إلى المستوى البديعي، وأن دورها يقف على الوظيفة الشكلية رأي غير كامل؛ إذ إن للبديع دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد، حتى لو تخيَل الناس غير ذلك.

ويندرج تحت إطار البديع: التكرار، الطباق، والمقابلة، وغيرها.

فمن المقابلة في الحديث النبوي الشريف ماروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى نَاسٍ جُلُوسٍ فَقَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ فَسَكَتَ الْقَوْمُ فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ"[1]:

ومن التكرار ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: ألا أدّلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط"[2] فكرر العبارة ثلاث مرات في موقف واحد لبيان أهمية ما ذكر ولفت الانتباه إليه، وقد استعمل اسم الإشارة مسندا إليه مع اللام والكاف ليدلّ به على التفخيم، وأضاف الميم فأفادت اختصاص الإشارة به إليهم زيادة في تنبيه المخاطبين، ثم أتى بالمسند معرفاً، فأفاد تعريف المسند والمسند إليه معنى القصر فقصر الرباط على ما

[1]– رواه الترمذي2264

[2]– رواه مسلم 250

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:01 السنة:2020 الصفحة: 439–464 تاريخ النشر:05–08–2020

ذكره في الحديث، فكأنّه يقول: لا رباط إلا ذلكم المشار إليه لكمال المعنى ولئلا يتوهم المسلم أن الرباط لا يعني إلا الجهاد بالسلاح، فجاء هذا التكرار ليوسع هذا المعنى وليفتح باباً آخر أمام السامعين له من الأجر ما للجهاد في أرض المعركة، وهو ما سبق ذكره في الحديث، وأكد ذلك تأكيداً لا يدع مجالاً للشك، وكأنه يريد أن يشير إلى أن الطريق الموصلة إلى النصر وإلى الاستعداد للبذل والتضحية ما هو إلا تعويد النفس على ما ذكره في الحديث، لأن من لا يحافظ على ما ذكر لا يمكن أن يكون مستعداً لبذل النفس في سبيل الله.

الخاتمـــة:

من خلال كل ما تم ذكره نستنتج ما يلي:

– لقد تفرد الحديث النبوي في إقناعه كل المتلقين وذلك باتساعه لكل الأدوات المعرفية والمنهجية مهما كان مصدرها–ومنها المقاربة الحجاجية– لكونه خطابا يتَّسم بسمتين: التفاعلية والتواصلية.

– إن المنهج الذي اتبعه الحديث النبوي الشريف في الإقناع يساعد في تحرير العقل ويجعله يتطلَّع إلى التواصل مع الآخر. فما يوظِّفه الحديث النبوي من آليات في الإقناع تسهم بشكل فعال في تيسير القبول لدى المتلقين

– تميزت آليات الإقناع في الحديث النبوي الشريف بالتنوع والتعدد، فأما التنوع ففرضته طبيعة المتلقين، وأما التعدد فأملته صفة النبوة التي اتسم بها سيد الخلق أجمعين.

– إن ما يطرحه الدرس اللغوي الحديث من مقاربات حجاجية لتجد أثرها المباشر في كل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والفرق الوحيد هو عملية التنظير والتقعيد.